السمات المشتركة في أشعار حافظ إبراهيم ومحمد عاكف أرصوي

Rıfat IŞIK[1]

Fawzy Eid Bekhit ABDELAAL[2]

APA: Işık, R.; Abdelaal, F. E. B. (2021). Hafız İbrahim ve Mehmet Akif Ersoy'un şiirlerinde ortak unsurlar. *RumeliDE Dil ve Edebiyat Araştırmaları Dergisi*, (22), 782-800. DOI: 10.29000/rumelide.897370.

الملخص

إن كلا من حافظ إبراهيم ومحمد عاكف أرصوي يتشابهان إلى حد كبير من حيث البيئةُ التي عاشا فيها والمواضيع التي تناولاها في قصائدهما، ويعتبران من أبرز الشعراء في عصرهما. وربما كان العنصر الأساسي الذي تعتمد عليه أشعارهما هو المجتمع. هذا الشاعران المتميزان يختلفان عن معاصريهما من حيث أسلوبُهما وموضوعات أشعارهما وفي الوقت ذاته يتشابهان كثيرا في الشعر الاجتماعي، فلهما مكانة مهمة في المجتمع من حيث تصوير مشاكلِ المجتمع وهمومه وأحزانه وأفراحه في قصائدهما. وانطلاقا من هذه النقطة يستمد الشاعران أفكارهما من الشارع والأسرة والثقافة التقليدية، وقبل ذلك كله من المجتمع بدلا من المفكِّرين. إلى جانب حياة هذين الشاعرين هناك العديد من النقاط المتشابهة في قصائدهما. فموضوعات مثل: الوطن والوحدة ومعارضة الاحتلال والدين والتشاؤم والأمل من بين السمات المشتركة التي تبرز في قصائدهما. وهناك نقطة أخرى مهمة هي أنهما ينقلان الموضوعات التي تناولاها في قصائدهما إلى القارئ بأسلوب سلِسٍ وبسيط ويمكن أن تفهمَه كل طبقة من طبقات المجتمع. هاتان الشخصيتان التي ارتبطتا بالشعر منذ صغرهما نجحتا في نقل أفكارهما للقارئ بكل وضوح من خلال الشعر. وانطلاقا من نقطة التعريف بهما فقد سردنا أهم المعلومات حول حياة حافظ إبراهيم أحد أبرز الشعراء المصريين والذي عُرف بشاعر الشعب، ثم أعقبنا ذلك بسرد أهم المعلومات حول حياة (محمد عاكف أرصوي) الذي عرف أيضا بشاعر الشعب وشاعر نشيد الاستقلال، ثم انتقلنا إلى ذكر نماذج من شعر الشاعرين متوخِّين عرضها للقارئ بشكل موضوعي.

الكلمات الدالة: حافظ إبراهيم، محمد عاكف أرصوي، وطن، مجتمع، الأدب المقارن

49. Hafız İbrahim ve Mehmet Akif Ersoy'un şiirlerinde ortak unsurlar

Öz

Gerek yaşamış oldukları ortam gerekse şiirlerinde ele almış oldukları konular itibariyle birbirlerine çok benzeyen Hafız İbrahim ve Mehmet Akif Ersoy, dönemlerinin önde gelen şairleri arasında yer almaktadır. Onların şiirlerini besleyen en temel unsur toplumdur. Üslupları ve işledikleri konu itibariyle muasırlarından ayrılan bu iki güzide şair, adeta toplumun aynası konumundadır. Toplumun problemlerini, sıkıntılarını, hüzünlerini ve sevinçlerini şiirlerinde yansıtmaları açısından toplum içinde önemli bir konuma sahiptirler. Buradan hareketle iki şair de fikirlerini düşünürlerden daha çok sokaktan, aileden, klasik kültürden ve en önemlisi toplumdan almaktadır. Bu iki şairin yaşantılarının yanısıra şiirlerinde de birçok benzer nokta bulunmaktadır. Vatan, birlik, işgal karşıtlığı, din, karamsarlık ve umut gibi konular, şiirlerinde ön plana çıkan ortak unsurlar arasından yer almaktadır. Şiirlerinde ele aldıkları konuları toplumdan her tabakanın anlayabileceği şekilde sade ve akıcı bir üslup ile okuyucuya aktarmaları, önemli hususlardan bir diğeridir. Genç yaşlarından itibaren şiirle iç içe olan bu iki şahsiyet, fikirlerini şiir vasıtasıyla bütün netliği ile okuyucuya ulaştırmayı başarmıştır. Buradan hareketle bu çalışmada, Mısır'ın önde gelen şairlerinden olan ve toplum şairi olarak kabul edilen Hafız İbrahim'in hayatı hakkında öne çıkan

1 Dr. Arş. Gör., Selçuk Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi, Arap Dili ve Edebiyatı Bölümü (Konya, Türkiye), isk.rifat@gmail.com, ORCID ID: 0000-0001-7596-8874 [Araştırma makalesi, Makale kayıt tarihi: 13.12.2020-kabul tarihi: 20.03.2021; DOI: 10.29000/rumelide.897370]

2 Öğr. Gör., Selçuk Üniversitesi, Yabancı Diller Yüksekokulu, Mütercim Tercümanlık (Arapça) Bölümü, (Konya, Türkiye), fawzymansor@gmail.com, ORCID ID: 0000-0002- 9096-3657

bilgiler aktarılmıştır. Ardından yine toplum şairi ve İstiklal Marşı şairi olarak bilinen Mehmet Akif Ersoy'un hayatı hakkında önemli bilgiler aktarılmıştır. Bunlarla birlikte bu iki şairin şiirlerinde ortak olan unsurlar tematik açıdan incelenerek okuyucuya sunulmuştur.

Anahtar kelimeler: Hafız İbrahim, Mehmet Akif Ersoy, vatan, toplum, karşılaştırmalı edebiyat

Common components in the poems of Hafiz Ibrahim and Mehmet Akif Ersoy

Abstract

Hafiz Ibrahim and Mehmet Akif Ersoy, who were very similar to each other in terms of both the environment they lived in and the subjects they dealt with in their poems, are among the leading poets of their time. The most fundamental element that feeds their poems is society. These two distinguished poets, who differ from their contemporaries in terms of their style and subject matter, are fairly represent their societies. They have an important position in the society in terms of reflecting the problems, troubles, sorrows and joys of the society in their poems. From this point of view, both poets draw their ideas from the street, family, classical culture and öoreover from society, rather than philosophers. In addition to the lives of these two poets, there are many similar points in their poems. Topics such as homeland, unity, opposition to occupation, religion, pessimism and hope are among the common elements that come to the fore in his poems. Another important point is that they convey the subjects they dealt with in their poems to the reader in a plain and fluent style that every layer from the society can understand. These two personalities, who had been intertwined with poetry since their young ages, had succeeded in conveying their ideas to the reader with all the clarity through poetry. By the way, in this study, prominent information about the life of Hafiz Ibrahim, one of the leading poets of Egypt and accepted as a social poet, will be presented. Then, important information will be given about the life of Mehmet Akif Ersoy, who is also known as the poet of the society and the poet of Turkish National Anthem. Afterward, the common elements in the poems of these two poets were examined thematically and presented to the reader.

Keywords: Hafiz Ibrahim, Mehmet Akif Ersoy, homeland, society, comparative literature

المقدمة

حافظ إبراهيم – حياته وشخصيته الأدبية:

اسمه محمد حافظ بن إبراهيم فهمي، وُلد لأم مصرية وأب تركي، وتأثر بالثقافة التركية لكنه تأثر تأثُّرًا كبيرا بالثقافة المصرية حيث كان يعيش بمصر (ضيف، د، ت، صفحة 100، 101).كان أبوه مهندسًا، وولد حافظ في سفينة صغيرة على شاطئ نهر النيل ببلدة ديروط، توفِّي أبوه وهو في الرابعة من عمره، وسافر مع أمه إلى القاهرة ليعيشا هناك مع خاله (الفاخوري, 1986، صفحة 136). تتفق الكثير من المصادر حول تاريخ ميلاد ووفاة حافظ إبراهيم. فالشاعر الذي عرف بلقب شاعر النيل عاش في الفترة بين (1871م/1287هـ - 1932م/1351هـ). (الجابري, 2004، جزء 1، صفحة 162، الفاخوري، 1986، صفحة 136).في الفترة التي عاش فيها حافظ كانت مصر تحت حكم عائلة محمد علي باشا وكان الحكام الذين يحكمون مصر يحملون لقب الخديوي وهم بالترتيب: إسماعيل (ت 1895) ، محمد توفيق (ت 1892)، عباس حلمي الثاني (ت 1914)، السلطان حسين كامل (ت 1917)، الملك أحمد فؤاد (ت 1936). عندما بلغ حافظ إبراهيم عامه العاشر (1881م) تعرضت مصر للاحتلال الإنجليزي واستمر ذلك حتى عام (1956م) (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 14، 15).

Adres
RumeliDE Dil ve Edebiyat Araştırmaları Dergisi
Osmanağa Mahallesi, Mürver Çiçeği Sokak, No:14/8
Kadıköy - İSTANBUL / TÜRKİYE 34714
e-posta: editor@rumelide.com
tel: +90 505 7958124, +90 216 773 0 616

Address
RumeliDE Journal of Language and Literature Studies
Osmanağa Mahallesi, Mürver Çiçeği Sokak, No:14/8
Kadıköy - ISTANBUL / TURKEY 34714
e-mail: editor@rumelide.com,
phone: +90 505 7958124, +90 216 773 0 616

عندما وصل حافظ إبراهيم إلى سن الدراسة أرسله خالُه محمد نيازي إلى أقرب مدرسة إلى بيته وهي المدرسة الخيرية، وهناك تعلم القراءة والكتابة والقليل من اللغة العربية والرياضيات والمعلومات الدينية، ثم درس بعد ذلك تعليمَه الأساسي أيضًا في المدرسة القرابية. أما دراسته الثانوية فقد أتمها في مدرسة المُبتديان والمدرسة الخديوية. ولكن الذي يلوح من المصادر أن حافظ إبراهيم لم يكن منضبطا أو ملتزما في دروسه (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 20، 21).

وبدأ ميله إلى الشعر والأدب يظهر عندما التحق بالمعهد الأحمدي، فقرأ من الشعر القديم والجديد، وكان على رأس ما قرأه أشعارَ محمود سامي البارودي، (ضيف، د، ت، صفحة 101). ولكن خاله انزعج من اهتمامه الزائد بالأدب والذي فاق اهتمامه بدراسته. أحس حافظ بانزعاج خاله فقرر أن يفترق عنه وقال هذين البيتين (ضيف، د، ت، صفحة 101، حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 58):

ثَقُلَتْ عَلَيْكَ مَؤُونَتِي إنّي أراها واهِيهْ
فَافْرَحْ فَإنّي ذَاهب مُتَوَجّه في داهيه

من خلال هذين البيتين يتضح لنا مدى الأثر الذي تركه استخفافُ خاله باهتمامه بالشعر، ومدى أهمية الشعر في حياة حافظ.

يُعرف هذا الشاعر الكبير في المصادر بالعاطفة والفكاهة والصراحة والكرم، وبأنه شخص مؤمن بالقومية العربية (الفاخوري، 1986، صفحة 138- 141). كان حافظ صاحب شخصية حساسة وقد استفاد من الدروس التي تلقاها على يد الشيخ محمد عبده -أحد أهم الشخصيات في عصره- في تطوير شاعريته وشخصيته الأدبية. ولم يكن الشعراء في هذه الفترة تحت حماية الخلفاء والأمراء كما كان الحال في العصر الأُموي والعباسي. بالعكس كان عليهم أن يؤمنوا تكاليف حياتهم بمكاسبهم الخاصة. وكان حافظ واحدا من هؤلاء الشعراء فكان يشترك في مجالس الأصدقاء ويقرأ عليهم شعره.

حظيَ حافظ باهتمام خاص في هذه المجالس فكان في بعض الأحيان يكتب في هذه الأجواء قصائد تدعو إلى الإصلاح.

وفي فترات متقدمة من حياته استطاع حافظ أن يطور نفسه وأصبح من أهم الأسماء التي كونت المدرسة الكلاسيكية الجديدة (توزجو، 2002، صفحة 107، 126) مع محمود سامي البارودي وأحمد شوقي (الحسامي، 2016، صفحة 154). وإلى جانب ذلك فإن حافظا لم ينشأ في بيئة أرستقراطية مثل محمود سامي البارودي وأحمد شوقي؛ ولهذا لم يحصِّل قدرا كبيرا من الثقافة الأجنبية، حتى إنه لم يشعر باحتياجه إلى ذلك. وقد تأخر عن الأشخاص الذين كانوا يتقنون الفرنسية -مثل خليل مطران- نتيجة للبيئة التي كان يعيش فيها (ساوران، 1991، صفحة 104) وفي هذا الجانب لم يذهب حافظ إلى أي مكان سوى مصر والسودان وفي الأصل كانت هذه الحياة التي عاشها الشاعر أحدَ أهم الأسباب التي جعلته شاعر المجتمع.

والعنصر الأبرز في شعره هي العاطفة، فقد استوعب حافظ أفكارَ الكتَّاب والخطباء الذي كانوا يعيشون في وقته، فحوَّل هذه الأفكار إلى شعرٍ مُضيفًا إليها من فيضِ عاطفته. وبسبب هذه النزعة العاطفية، ونتيجةً لتأثره بالبيئة التي نشأ فيها فقد انتقَدَ في شعره الكثير من الموضوعات مثل صمت المصريين أمام المحتلِّين. حافظ الذي كتب الكثير من الأشعار في الجانب السياسي والاجتماعي وكان من أجمل أشعاره تلك القصيدة التي كتبها في (حادثة دنشواي) قد استطاع أن يجدِّد الكثير في الشعر من ناحية الأهداف والموضوعات وجه شعره إلى المجتمع فسَرَدَ آلامه وآماله ومشاكله.و كانت النقطة التي ركز عليها في شعره هي الحديث عن المشاكل الموجودة في مصر والشرق والعالم الإسلامي، وعن حلول هذه المشاكل. وقد تميز بذلك عن الكثير من الشعراء المعاصرين له. وإلى جانب ذلك امتاز ببساطة لغته وكونها مفهومة لدى المجتمع، وقد مكنه ذلك من احتلال مكانة رفيعة بين مُعاصريه من الشعراء من أمثال محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وخليل مطران، وولي الدين يكن (ت 1921)، وإسماعيل صبري باشا (ت 1923) ومحمد عبد المطلب (ت 1931)، (ضيف، د، ت، صفحة 107- 108؛ حافظ إبراهيم، 1987 صفحة 34-35، 49-75؛ يلدز 2107، صفحة 72-73) ومن هذه النقطة يتضح لنا حافظا قد جعل الشعر وسيلة يلقي بها الضوء على مشاكل المجتمع.

وإضافة إلى ما سبق فإننا نجد القومية العربية والإسلامية واضحة في شعره. كما أن الأشعار الإسلامية التي قالها حافظ عن عمر بن الخطاب والخلافة العثمانية مثيرةٌ للاهتمام. وإضافة إلى ما سبق فقد نظم الشعر كذلك في موضوعات الغزل والخمريات (ساوران، 1991، صفحة 105). وأشعاره التي كتبها في حب الوطن ومقاومة الاحتلال جعلته شخصا محبوبا في عيون الشعب، وموقفه الناقد في شعره لسيطرة الإنجليز على حكم مصر مكَّنه من الاستحواذ على لقب "شاعر النيل والمجتمع" (يلدز، 2017، صفحة 199). وإضافة إلى ما سبق فإن من أهم المواضيع المركزية التي تناولها حافظ في شعره الحياةَ الاجتماعيةَ والوطن والخلافة والشرق والمجتمع الشرقي والإنسانية (يلدز، 2017، صفحة 82- 89).

وفي المراحل التي تلت تلك الفترة من حياته حصل حافظ إبراهيم على نيشان النيل، ورغم حصوله على لقب شاعر النيل فإنه فضَّل أن يلقب بشاعر المجتمع في العالم العربي والإسلامي.

توفي هذا الشاعر الكبير في بيت صغير بحي الزيتون بالقاهرة، فجر يوم الخميس 12 من يوليو/ تموز سنة 1932 بعد أربعة أشهر ونصف تقريبا من تقاعُده (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 27، 28، 66).

آثاره:

1-الديوان. طبع هذه الديوان ثلاث مرات وقد تغير عدد مجلداته حسب الطبعات. أحدها نشره محمد إبراهيم هلال في دار الهلال عام 1922. وبعد ذلك طُبع في نفس العام في ثلاثة أجزاء في مطبعة المعاهد. وإلى جانب ذلك فقد طبعته دار الكتب المصرية في مجلدين طبْعةً كتَبَ مقدمتَها خليل مطران، وجهَّزها أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري, وهذا الأثر الذي طُبع في دار الكتب المصرية حظي باهتمام الناس وطُبع مرارا. والموضوعات التي تناولها حافظ في ديوانه هي : المدائح والتهاني، والأهاجي، والتقريظات، والإخوانيات والوصف والخمريات والغزل والاجتماعيات والسياسيات، والشكوى والمراثي.

وكان أكثر الموضوعات التي أظهرت ميل الشاعر إلى التعرض للموضوعات التي تتناول الحياة اليومية مثل المدح والتهاني والمراثي والسياسيات والاجتماعيات (داغر، 1983، جزء 2، صفحة 280، حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 91، 93، 101) وكما سبقتِ فإن كلَّ أشعار حافظ لم تذكر في ديوانه ولم تصل إلينا نتيجة لأسباب متعددة.

2- ليالي سطيح: هذا الأثر عبارة عن مقالات بأسلوب المقامات كتبها الشاعر في الموضوعات الإصلاحية في مجالس الأصدقاء متأثرا بأفكار محمد عبده الإصلاحية. في هذا العمل جعل حافظ العرَّاف الجاهل سطيح وسيلةً إلى سرد الكثير من أفكاره الاجتماعية. وهو حكاية اجتماعية كتبت على نمط (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 103).

وقد طبع هذا الأثر في مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة عام (حافظ إبراهيم، 2012).

3- البؤساء (مترجمة) في فترة ما حاول حافظ إبراهيم أن يتقن اللغة الفرنسية لكنه لم ينجح في ذلك. ترجم كتاب البؤساء لفكتور هوغو. ورغم بعض المشاكل والزيادة والنقصان الناتجة عن عدم تمكنه من الفرنسية إلا أنه قد نجح في الحفاظ على روح هذا العمل. طبع هذا الكتاب أولا في مصدر وصدر في مجلدين. مؤخرا عادل عبد المنعم أبو العباس وطبع في مطابع مطبعة العبور الحديثة عام 2014 (ساوران، 1991 ، صفحة 102، 103، حافظ إبراهيم، 1987، صفحة، 103، حافظ إبراهيم 2014)

4- عُمَرية حافظ: شرحها مصطفي الدمياطي باسم (ذكرى حافظ) و طبعت عام 1981 في مطبعة الصباح في 48 صفحة. كما أن نفس الشخص في عام 1933 أخرجها باسم شرح القصيدة العمرية، وطبع في مطبعة السعادة وخرج في 90 صفحة.

5- الموجز في الاقتصاد السياسي: أصله بالفرنسية للكاتب (Paul Leroy-Beaulieu) واسمه باللغة الأصلية (D'êconomie Politique) ترجمه حافظ إبراهيم وخليل مطران حتى يتم تدريسه بالثانويات المصرية بطلب من وزير المعارف المصري حِشمت باشا. (الفاخوري, 1986، صفحة 142، بلعباس، 2014، صفحة 110).

6- التربية والأخلاق، أثرٌ مطبوع في مجلدين ولا توجد معلومات مفصلة بخصوصه. (ساوران، 1991 ، صفحة 106، داغر، 1983، صفحة جزء 2، صفحة 280).

وفضلا عن الآثار التي تمت الإشارة إليها لحافظ إبراهيم فقد كتبت عنه الكثير من الكتب والأبحاث المستقلة والدراسات والمقالات. وهذه الدراسات المشار إليها قد جمعها (يوسف أسد داغر) في كتابه مصادر الدراسات الأدبية. (داغر، 1983، جزء 2، صفحة، 280-285)

محمد عاكف أرصوي حياته وشخصيته الأدبية[3]:

3 من الدراسات المشابهة في هذا المجال ينظر: (أورون، 2002)

حتى يومنا هذا توجد الكثير من المعلومات في الكثير من الدراسات عن محمد عاكف وحياته. وعلى الرغم من وجود الكثير من المعلومات حول حياته فإننا نعتقد أنه سيكون من المفيد تقديم معلومات موجزة عن حياته وشخصيته الأدبية بهدف التعرف على العناصر المشتركة بينه وبين حافظ إبراهيم المذكور سابقا بشكل أكثر وضوحًا كما يقتضي هذا البحث. وأثناء القيام بذلك ، سنحاول الاعتماد على المصادر الأساسية المكتوبة عنه.

بالطبع ليس من السهل الحديث عن شاعر شهد سقوط امبراطورية، وحارب في أكثر من جبهة، وحارب من أجل جمهورية الاستقلال.

كون محمد عاكف منحدرا من أب من روميلي، وأم من بخارى، وولادته في الفاتح باسطنبول جعله صاحب موقع مركزي بين الشرق والغرب والعالم الإسلامي (قاراقوش، 1987، صفحة 5) . محمد عاكف شاعر صفحات ونشيد الاستقلال ولد في حي ساري غوزيل باسطنبول عام 1873 (بيلغغيل، 1971، صفحة 3، 5). والده محمد طاهر أفندي، وأمه السيدة أمينة شريفة توقاتلي. توفي أبوه عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره ودفن في مقابر أدرنة كابي. محمد طاهر أفندي أرسل ابنه إلى مدرسة حي الأمير بوهاري عندما كان في الخامسة من عمره. ثم أدخله إلى المدرسة الموفقية الابتدائية والثانوية المركزية على التوالي. لكن والده هو الذ ي اعتني شخصيا بتعليمه . بعد ذلك ، على الرغم من أنه بدأ في المدرسة الملكية بهدف استكمال تعليمه ، ورغب وخلاف رغبته فقد اضطر إلى دخول مدرسة حالقالي بيطار بعد وفاة والده ، من أجل إعالة أسرته. بعد التخرج من هنا ، كان مهتمًا بالأدب العربي وأخذ دروسًا في هذا الموضوع من مفتي الهرسك علي فهمي أفندي. من المعروف أن محمد عاكف كان يعرف اللغة الفرنسية والفارسية كما كان يتقن العربية[4].

بدأ شغف محمد عاكف بالشعر في فترة الثانوية وفي هذه الفترة قرأ الكثير من الكتب وقد أخبر عن نفسه بأن أول أثر منظوم قرأه هو كتاب الفضولي المعروف بـ (ليلى والمجنون). ومع ذلك ، بدأ في ذلك الوقت كتابة بعض المنظومات مع زميله في الفصل ابن الأمين محمود كمال.

بعد أن كان مشغولاً للغاية بالشعر خاصة في العامين الأخيرين من دراسته ، كتب عاكف العديد من المنظومات في الفترات اللاحقة وكتب رسائل طويلة منظومة إلى أصدقائه. حتى في إحدى هذه القصائد ، وصف المشاكل التي واجهها بعد وفاة والده[5]. في وقت لاحق ، محا ما كتبه في هذه السنوات ، ولم يسلم من تلك القصائد إلا بعض القصائد التي تم نشرها في مكان ما في حياته وتلك الموجودة في دفاتر بعض المهتمين بشعره. أول عمل مطبوع معروف لـ محمد عاكف أرصوي هو (قصيدة غزلية من سبعة أبيات) تم نشره في مجلة (خزينة الفنون) في 28 ديسمبر 1893 [6].

آثاره المنظومة:

1- صفحات: هو كتاب طبع في حياة محمد في سبعة أجزاء، ولكن بعد وفاته طبع في مجلد واحد، وهو مكتوب على مقتضى قواعد العروض. ويتكون من 11.240 مصراعا و108 قطعة.

2- أشعاره خارج كتاب صفحات، شعر الاستقلال، وله أشعار كتبها وهي ما يزال في مراحل الدراسة لكنه أفاد أنها لم تكن تعجبه ولهذا مزقها ولم ينشرها. وقد سلِمَ من أشعاره ما أرسله لأصدقائه وما نشره في المجلات. وأشهر منظوماته خارج صفحات هو "نشيد الاستقلال" الذي قال عنه: إنه ليس لي إنه لأمتي (دوزداغ، 1997، صفحة 147-148).

آثاره المنثورة:

1. التفاسير: كتب محمد عاكف 75 رسالة في التفسير. منها 18 منظومة وهي موجودة في صفحات. كما أن له 57 مؤلفا آخر منها 53 حول بالآيات و4 حول الأحاديث.

2. المواعظ: هي تسعة مواعظ جمعها الشاعر في كتاب. (دوزداغ، 1997، صفحة 149).

3. المقالات: هي خمسون بحثا كتبها في الموضوعات الفكرية والأدبية المختلفة (دوزداغ، 1997، صفحة 150).

4 للمزيد حول اللغة العربية والفارسية والفرنسية عند محمد عاكف ينظر: (جانتاي، 1966) صفحة 38-40، 352- 353).
5 للمزيد حول هذه المنظومة: (دوزداغ، 1997، صفحة 9).
6 للمزيد حول منظومة الغزلية ينظر: (دوزداغ، 1997، صفحة 12).

4. الترجمات: قدم محمد عاكف خلال حياته حوالي ستة وخمسين ترجمة. واستخدم في بعضها "السعدي" اسما مستعارا. وهذه التراجم كتب أصلها ستة كتاب مختلفين الخمسة الأول منها بالعربية والباقي بالفرنسية. والتراجم المنشورة هي: المرأة المسلمة ، دفاع الشيخ محمد عبده الإسلامي ضد هجوم هانوتو ، الأسلمة ، الرد على الكنيسة الأنجليكانية (دوزداغ، 1997، صفحة 150، 152).

5. الرسائل: نشر لمحمد عاكف حتي هذه اللحظة حوالي خمسين رسالة له من الرسائل المتفرقة بين أيدي البعض ما يقدر بمئات الرسائل (دوزداغ، 1997، صفحة 153).

أصيب عاكف بالتليُّف الكبدي لمدة سبعة أشهر ثم رحلَ عن عالمنا مساء يوم الأحد 27 من ديسمبر عام 1936 في مبنى مصر بمحلة باي أوغلو (جانتاي، 1966، صفحة 22).

وقد كتبت عنه وعن حياته الكثير من الدراسات مثل المشاريع البحثية والأطروحات والمقالات والمؤتمرات. كما أن هناك العديد من الدراسات باللغة العربية التي كتبت عنه وعن مؤلفاته باللغة العربية[7]. وإلى جانب ذلك أيضًا يمكن النظر إلى البحث الذي أعده محمد كوت أوغلو باسم "شاعر الاستقلال محمد عاكف في زاوية تاج الدين". حول التسلسل الزمني لمحمد عاكف أرصوي. (كورد أغلو، 2016، صفحة 167، 173).

الوطن

في المعجم الوسيط: وَطَنَ بالمكان يَطِنُ : أقام به. والوطن: مكان إقامة الإنسان ومقرُّه، وإليه انتماؤُه ، وُلدَ به أم لم يولد (ضيف، 2011، صفحة 1085). عندما نلقي نظرة على ديوان حافظ إبراهيم وديوان محمد عاكف فمن السهل أن نرى أن السمة المميزة لشعرهما هي المكانة التي يحتلها الوطن في شعر كل منها، وهو أمر ليس بالغريب؛ فكل منهما شاعر الوطن وكل منهما شاعر الأمَّة.

فبالنسبة لمحمد عاكف هو أحد أهم الشعراء في تاريخ تركيا الحديث ويلقب بشاعر الوطن وشاعر الإسلام، وهو الذي سجل في أشعاره مشاكل وطنه وهمومه وحروبه وانتصاراته، وتوَّج ذلك بأن كتب نشيد الاستقلال الذي يُردِّدُه الشعب التركي منذ ما يقارب المائة عام، ولهذا ارتبط اسم محمد عاكف في ذهن المواطن التركي باسم الوطن واسم نشيد الاستقلال الذي صاغ عاكف كلماتِه الرائعة (عيسى قيزي، 2013، صفحة 533- 537).

وبالنسبة لحافظ إبراهيم، فهو من أكثر الشعراء الذين لامست كلماتهم وجدان الشعب المصري وعبروا عن هموم المصريين وآلامهم، فسجل في أشعاره مشاكلهم السياسية والاجتماعية وطموحاتهم وآمالهم وهو ما جعل المصريين يطلقون عليه شاعر الشعب وشاعر النيل (نوفل، 1997، صفحة 11). صحيح أنه لم يكتب لحافظ أن يصوغ نشيدا وطنيا كما كان ذلك من قدر عاكف، لكن كلماته ظلت خالدة في وجدان المصريين لاسيما قصيدته الشهيرة (مصر تتحدث عن نفسها). وفي إطار الحديث عن الوطن ربما تكون النقطة الأولى التي يمكن التحدث عنها هي (حب الوطن) وهي تبدو واضحة في شعر كل منهما.

فمحمد عاكف في القطعة التالية من (نشيد الاستقلال) يشير إلى حب الوطن من أكثر من جانب (أرصوي، 2012، صفحة 505):

Bastığın yerleri "toprak" diyerek geçme, tanı,	اعرف قيمة التراب الذي تمشي عليه ولا تظن أنه محض تراب
Düşün altındaki binlerce kefensiz yatanı.	فكر في آلاف الراقدين تحته بلا كفن.
Sen şehit oğlusun, incitme, yazıktır atanı,	أنت ابن الشهداء فلا تحزن الأجداد
Verme, dünyaları alsan da bu cennet vatanı.	لا تبع هذه الجنة ولو أخذت كل الدنيا[8]

في هذه القطعة من نشيد الاستقلال تناول عاكف حب الوطن من أكثر من شكل، وأول ما يتناوله عاكف في هذه القطعة هو تراب الوطن فيقول إن تراب الوطن ليس ترابا عاديا تدوسه الأقدام وإن على كل شخص أن ينتبه إلى قيمة هذا التراب لأن تحت كل شبر منه آلاف الشهداء الذين فقدوا حياتهم دفاعا عن هذا الوطن، وبعد أن عرض عاكف لكفاح الأجداد ودفاعهم عن الوطن يوجه خطابه إلى الأحفاد مذكرا إياهم بأنهم أبناء الشهداء وهذا يتطلب أن يسيروا على نفس الطريق الذي سار عليه أسلافهم طالبا منهم إكمال المسيرة التي بدأها الأجداد في الكفاح من أجل الوطن؛ حتى لا يحزن هؤلاء الأجداد إذا وجدوا أن الأحفاد لم يقوموا بما يجب عليهم

7 للمزيد حول الدراسات المتعلقة بحياة محمد عاكف وأثاره ينظر: داشجي أوغلو والحسيني، 2019، صفحة 21-33).
8 قمنا بترجمة أشعار محمد عاكف أرصوي من اللغة التركية إلى العربية وذلك لتعذر الوصول إلى دراسات سابقة لأشعار عاكف مترجمة إلى العربية.

القيام به في حق الوطن. ثم في المصراع الأخير يدعو كل مواطن إلى عدم التخلي عن الوطن الذي يشبهه بالجنة ويشير إلى أنه أغلى من كل شيء في الدنيا (أرصوي، 2012، صفحة 505):

من الذي لا يكون لهذا الوطن فداء	Kim bu cennet vatanın uğruna olmaz ki feda?
أينما مشيت ترابه يفيض بالشهداء	Şüheda fışkıracak, toprağı sıksan şüheda.
وإن أخذ الله روحي وكل ما أملكه وأحبه	Canı, cananı, bütün varımı alsın da Hüda,
فأدعو ألا يبعدني عن وطني	Etmesin tek vatanımdan beni dünyada cüda.

وبعد أن تكلم عاكف عن الأجداد والشهداء الذين أهدوا حياتهم للوطن وطلب من الأبناء أن يعرفوا قدر التضحيات التي قدمها أجدادهم الشهداء، عاد إلى فكرة الشهادة في سبيل الوطن وإلى تشبيه الوطن بالجنة مرة أخرى، وصور الشهادة على أنها أقل ما يقدَّم لهذا الوطن ويتساءل من ذلك الذي لا يقدم روحه فداء لهذا الوطن؟ وأن شهداء الوطن لكثرتهم فإنَّ تراب هذا الوطن يتفجر بالشهداء في كل قطعة منه، فهو يشير إلى فكرة أن الشهادة في سبيل الوطن هي أقل من يقدِّمه الإنسان، وينتقل من ذلك إلى أن الحياة دون هذا الوطن لا قيمة لها ولا سعادة ولا أُنس فيها.

فإذا جئنا إلى حافظ إبراهيم فإننا نجد الكثير من قصائده تتغنى بحب الوطن، ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن نشير إلى أن حافظًا تربَّع على عرش الشعر المصري مع صديقه ومعاصره أمير الشعراء أحمد شوقي، ومن كان يُفضِّل حافظا على شوقي كان يفضله لوطنيته، لا لتفوقه في فن الشعر (نوفل، 1997، صفحة 37). فإذا انتقلنا إلى ديوانه فإنا نجد ذلك الملمح الحماسيَّ الموجود في شعر عاكف موجودًا أيضا عند حافظ، فقصيدته الرائعة (مصر تتحدث عن نفسها) أو (وقف الخلق) وإن لم تكن النشيد الوطني لمصر - كما هو الحال مع نشيد الاستقلال لعاكف- لكنها تقوم مقام النشيد الوطني عند المصريين، وربما لا نكون مبالغين إذا قلنا إنها لا تقل أهمية عنه، وفيها يقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 403):

وقف الخلق ينظرون جميعا	كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناة الأهرام في سالف الدهر	كفوني الكلام عند التحدي
أنا تاج العلاء في مفرق	الشرق ودرَّاته فرائد عقدي

وفيها يقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 404):

أنا إن قدَّرَ الإله مماتي	لا ترى الشرق يرفعُ الرَّأس بعدي
ما رماني رامٍ وراح سليمًا	من قديم عنايةُ الله جُندي

إن حب الوطن المتأصِّل في نفس حافظ دفعه إلى أن ينشد قصيدةً على لسان هذا الوطن، والصدقَ الذي يملأ قلبه جعل هذه القصيدة قطعةً لا تُمحى من الأدب المصري الحديث.

وحافظ قارئ جيد لتاريخ بلده ولهذا هو لا يغفل دور وطنه وحضارته القديمة التي تحتل مكان ممتازا بين حضارات العالم القديم، وهو ويصور العالم وقد وقف يتعلم من مصر كيف تبني المجد، وإذا كان هناك حديث عن التاريخ والعلم فمن الطبيعي أن يتطرق عاكف إلى الحديث عن المصريين القدماء وما أنجزوه من حضارة وما تركوه من آثار ومن أهمها الأهرامات.

وهو يشبه مكانة مصر بالنسبة للشرق بالتاج الذي يوضع على رأس الملوك فيكون رمز العزة والمُلك، وفي القطعة الثانية يستخدم أسلوب الكناية ليصور حال الشرق بدون مصر وأن الشرق لا يمكن أن يرفع رأسه دون وجود مصر، وعدم رفع الرأس كناية عن الذلة، فهو يرى أن وجودَ مصر عزةٌ للشرق وموت مصر ذلة للشرق.

ولكن حب الوطن عند حافظ لا يقتصر على ذلك الجانب فقط، فأحيانا يأتي مغلَّفا في صورة من العشق والغرام، فحافظ إبراهيم في أكثر من موضع في شعره يخاطب الوطن مخاطبة المعشوق وإذا أردنا أن نُمَثِّل لذلك فيمكننا أن نلقي نظرة على القصيدة التي قالها في افتتاح مدرسة البنات بمدينة بورسعيد، وقد أُلقيت هذه القصيدة في حفل أقيم لجمع الإعانات لهذه المدرسة، فكان الغرض الأساسي من القصيدة دعوةَ الناس إلى البذل والمساعدة في إقامة المدرسة التي ستُساهم في نشر العلم بين بنات ونساء هذه المدينة، ولذا فهو يبدأ قصيدته هذه بقوله (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 279):

كم ذا يُكابد عاشقٌ ويلاقي	في حب مصر كثيرة العُشَّاق
إني لأحمل في هواك صبابةً	يا مصر قد خرجت عن الأطْواق
لهفي عليكِ متى أراك طليقة	يحمي كريمَ حماكِ شعبٌ راقي
كَلِفٌ بمحمود الخصال مُتيَّمٌ	بالبذْل بين يديك والإنْفاق

وعند النظر إلى موضوع القصيدة والسببِ الرئيسِ في إنشادها نرى أن موضوعها الأساسي موضوعٌ اجتماعي لكن حافظًا ابتدأ الأبيات بكلمات تعبّر عن مدى حبه وعشقه للوطن، وقد استخدم "كم" التي تفيد التكثير، ثم أتبعه بالمصراع الثاني الذي يُبين فيه أن حب مصر ليس حِكْرًا على حافظ وحده، وأن عشَّاقَ مصر كثيرون وهو – في رأينا- ذكاءٌ شديد من الشاعر؛ لأنه يحاول أن يوقظ مشاعر الوطنية في نفوس السامعين.

ثم يغلب عليه عشقه للوطن فيرجع في الشطر الثاني ويتكلم بصيغة المفرد ويقول إن عشقه لمصر قد ملأ عليه قلبه حتى خرج عن كل حد. وهو يخاطب الوطن بقوله "لهفي عليك" الذي يُظهر مدى شوق الشاعر إلى أن يرى وطنه بالشكل الذي يليق به؛ فهو يتمنى لوطنه وشعبه شيئيْن:

1- أن يرى مصر طليقة، أي حرَّة ومتحرّرة، وهذا الأسلوب منه يُلقي الضوء على أن مصر في هذه الفترة لم تكن تتمتَّع بالقدر الكافي من الحرية أو التحرُّر.

2- ويتمنى أن يرى شعب مصرا راقيًا متحضِّرا ويرى أن ذلك الرُّقي هو الذي يحمي حمى الوطن، ثم يذكر علامة من علامات الرقي والتحضر وهي أن يكون الشعب متحلّيا بالصفات الجميلة، مُغرما بالإنفاق في سبيل وطنه.

الاتحاد والفرقة

في المعجم الوسيط: اتحد الشيئان أو الأشياء صارت شيئا واحدا (ضيف، 2011، صفحة 1059).هذا الموضوع يسوقنا إلى تناول فكرة مفهوم الوطن عند حافظ وعاكف، فكلاهما يرى الوطن في صورتين مختلفين: الصورةُ الأولى صورة الوطن المحدود الذي ولد الشاعر فيه وعاش في أرضه، وفيه تكوَّن فكرُه وتشكَّلت ثقافته، وهو تركيا في حالة عاكف ومصر في حالة حافظ. ولكنَّ لكليهما أيضا صورةً أخرى وهي الصورة الأشمل لمفهوم الوطن وهو الوطن الإسلامي الذي يتخطَّي الحدود واللغة والعرق، و في العصر الذي عاشه الشاعران لم تكن حالة العالم الإسلامي جيدة، فقد كان يمر بمرحلة من مراحل الضعف والفرقة، وكانت الدولة العثمانية تعيش أيامها الأخيرة، وقد انعكس ذلك على أشعار الرَّجلين.

كان عاكف يشعر بالحزن لما يراه من فرقة المسلمين، ولذا دعا إلى الوحدة وترْك الفرقة (يوريك، 2013، صفحة 8) ويمكننا أن نرى ذلك في أكثر من موضع. وقد تناول عاكف هذا الموضوع في أكثر من موضع من شعره فهو يقول (أرصوي، 2012، صفحة 446):

Ey millet-i merhûme, güneş battı... Uyansan!	يا أيتها الأمة المرحومة غربت الشمس فانهضِي
Hâlâ mı, hükûmetleri, dünyâları sarsan,	ألا تزالين راقدة؟ أغنية نومك الذي استمر قرونا تجيء إليك
Seylâbelerin sesleri, âfâkın enîni,	لقد كانت أصوات السيول
A'sâra süren uykun için gelmede ninni?	وأنين الآفاق يهزان كل الدنيا والحكومات
Efrâdı hemen milyar olur bir sürü akvâm,	الكثير من الأقوام الذين يجاوزون المليار
Te'mîn-i bekâ nâmına eyler durur ikdâm.	يجددون إقدامهم لتأمين البقاء
Bambaşka iken her birinin ırkı, lisânı,	بينما هم مختلفون في عرقهم ولسانهم
Ahlâkı, telâkkileri, iklîmi, cihanı,	ومفاهيمهم وإقليمهم وأخلاقهم وسلوكهم
Yekpâre kesilmiş tutulan gâye için de,	توحدوا تحت غايتهم المنشودة
Vahdetten eser yok bir avuç halkın içinde!	ليس لدينا أي أثر للوحدة في هذه الحفنة من الأمة
Post üstüne hem kavgaların hepsi nihâyet;	ولكن في الأصل كل الصراعات من أجل المقام في النهاية

Hâlâ mı boğuşmak? Bu ne gaflet, ne rezâlet!	إلى متى التناحُر؟ ما هذه الغفلة وذلك الخزي!

وعاكف أيضا يدعو إلى الوحدة ويجعل لها قصيدة باسم "وحدة" ويحذر من الفرقة ويرى أن الفرقة هي السبب الذي أوصل الشرق إلى ما هو فيه من حال سيء، كما يرى أن الفرقة هي سم يقتل الأمة إذا سرى في بدنها فيقول (أرصوي، 2012، صفحة 469):

Şark'ın ki mefâhir dolu, mâzî-i kemâli,	لمن يمتلئ ماضي ذلك الشرق بالمفاخر
Yâ Rab, ne onulmaz yaradır şimdiki hâli!	يا رب ما هذا الجرح الذي لا يلتئم
Şîrâzesi kopmuş gibi, manzûme-i îman,	كأن نظام الإيمان فقد توازنه
Yaprakları yırtık, sürünür yerde, perîşan.	أوراقه ممزقة تزحف على الأرض.
"Vahdet" mi şiârıydı? Görün şimdi gelin de:	أكانت الوحدة شعاره ؟تعالوا وانظروا إليه الآن
Her parçası bir mel'abe eyyâmın elinde!	أصبحت كل قطعة منه لعبة في يد الأيام
Târîhine mev'ûd-i ezelken "ebediyyet",	بينما هي موعودة في الأزل بالتاريخ الأبدي.
Ey, tefrika zehriyle şaşırmış giden, ümmet!	أيتها الأمة التي ضلت بسُمِّ التفرقة
"Nisyân"a çıkan yolda mı kaldın güm-râh?	أبقيت في طريق النسيان أيتها الضائعة
Lâ-havle ve lâ-kuvvete illâ billâh!	لا حول ولا قوة إلا بالله

نرى هنا مدى الحزن الذي يشعر به عاكف بسبب الحالة المزرية التي وصلت إليها الأمة الإسلامية، ومدى الغفلة التي تعيشها. ولا يكتفي عاكف بالدعوة إلى الوحدة بل يصور الفرقة وأثرها السيء الذي تتركه في الأمة فهو يرى الفرقة سُمًّا يؤدي إلى قتل الأمة وأن الأمة المتفرقة أمة ضائعة.

وفي حديث عاكف عن الوحدة نراه لا يرى فرقا بين مسلم وآخر، وهي نقطة يتفق فيها مع حافظ كما سيأتي، فعاكف يقول (أرصوي، 2012، صفحة 189):

Şark'ı baştan başa yıllarca dolaştım, gezdim;	تجولت سنوات في الشرق من أقصاه إلى أقصاه
Hem de oldukça görürdüm... Kafa gezdirmezdim!	لم أتجول فقط ، تجولت ورأيت
Bu Arapmış, bu Acemmiş, bu Tatarmış, demedim.	لم أقل أبدًا هذا عربي وهذا أعجميٌّ أو تتري
Müslüman unsurunun hepsini gördüm kendim.	نظرت إلى جميع عناصر المسلمين
Küçük âdemlerinin rûhunu tedkîk ettim,	دقَّقْتُ النظر في أرواح البسطاء من بني آدم
Büyük âdemlerinin fikrini ta'mîk ettim.	وتَعَمَّقْتُ في أفكار العلماء

لقد أتاحت الظروف لعاكف أن يتجول في أكثر من بلد في الشرق الإسلامي وهو في جولاته هذه لم يكن ينظر إلى البلاد الإسلامية التي يزورها نظرة السائح بل كان يحلل الجانب الاجتماعي ويناقش من يمكنه مناقشته من رجال الفكر (أيدن، 2012، صفحة 55-56) لكن الذي يعنينا هنا في موضوع الوحدة هو كلام عاكف الذي يشير فيه إلى أنه لا يرى فرقا بين عربي وعجمي وتَتَرِيٍّ، فأول ما يتبادر إلى أذهاننا هو الحديث الشريف (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) وهذه هي السمة نفسها التي نلحظها في شعر حافظ، فحافظ في شعره يدعو إلى الوحدة ولا يرى فرقِا بين بلاد المسلمين فنراه يقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 268):

لمصر أم لربوع الشام تنتسب	هنا العلا وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لا زالت ربُوعهما	قلب الهلال عليها خافقٌ يجب

الوحدة من منظور حافظ تأخذ شكلا مختلفا وهو أنه يرى البلاد العربية والبلاد الإسلامية وطنا واحدا، فهو يرى أن لا فرق بين أن تكون مصريًّا أو سوريًّا فكلا البلدين -سوريا ومصر- ركنٌ مكين للشرق، وركن مكين للعالم الإسلامي أيضا الذي أشار إليه حافظ بالهلال.

والوحدة في نظر حافظ لا تقتصر على الدول العربية، فهو يرى العالم الإسلامي وحدة لا تتجزأ، ويصور وحدة المشاعر في العالم الإسلامي عند وفاة الأستاذ محمد عبده، فيقول في رثائه (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 461):

بكى الشرق فارتجَّت له الأرض رجَّةً	وفاضت عيون الكون بالعبَرَات
ففي الهند محزونٌ وفي الصين جازعٌ	وفي مصر باكٍ دائمُ الحسرات
وفي الشام مفجوعٌ وفي الفرس نادب	وفي تونس ما شئت من زَفَرات
بكى عالَم الإسلام عالِمَ عصره	سراجَ الليالي هادمَ الشبهات

فهو يرى أن الإسلام هو الرابطة الكبرى التي تجمع الشرق، وعندما يوجد حادث مؤسف على الصعيد الديني فإن جميع البلاد الإسلامية تتأثر بهذا الحادث، ولهذا فهو في رثائه للأستاذ محمد عبده لا يرى أن المصريين أو العرب وحدهم هم الذين يحزنون لوفاته بل إن العالم الإسلامي كله يحزن لوفاته في الهند ومصر والصين والشام وتونس، فحالة الحزن الناتجة عن وفاة الأستاذ محمد عبده تركت أثرها في كل بلد من بلاد المسلمين ، ومشاعر الجزع توحِّد العالم الإسلامي حين يبكي عالِمَ العصر.

ونلاحظ هنا أن عاكفًا -ومثله حافظ- حين يتحدَّث عن الوحدة يركز على نقطتين:

الجانب الأول هو الشرق.

الجانب الثاني هو الإسلام.

ضد الاحتلال

الاحتلال: استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو جزء منها قهْرا (ضيف، 2011، صفحة 200). كانت الفترة التي عاش فيها الشاعران الكبيران فترة حرجة وصعبة في تاريخ العالم الإسلامي حيث شهدا فترة ضعف الخلافة العثمانية ثم سقوطها وفي تلك الأثناء تعرضت الدول الإسلامية للغزو العسكري، فتركيا تعرضت للاحتلال من الجيش اليوناني، ومصر كانت تخضع للتدخلات الفرنسية البريطانية ومن الطبيعي أن الشاعر الوطني سيقوم بواجبه في الدفاع عن وطنه وإلهاب حماس أبناء الأمة وقد قام كل منهما بما يجب عليه القيام به في هذا الخصوص، ربما كانت مقاومة المحتل تحتل في شعر حافظ مكانا أكبر من الذي تحتله في شعر عاكف لكن شعر عاكف لم يخل منها أيضا وقصيدتاه المشهورتان (البلبل، وشهداء جناق قالي) خير مثال على ذلك، ففي قصيدة "البلبل" يقول عاكف (أرصوي، 2012، صفحة 456):

Eşin var, âşiyanın var, baharın var, ki beklerdin;	إلفك موجود وعشك موجود وربيعك وموجود وبإمكانك الانتظار
Kıyâmetler koparmak neydi, ey bülbül, nedir derdin?	فما مشكلتك؟ لماذا تكثر الصياح
O zümrüd tahta kondun, bir semâvî saltanat kurdun;	جلست على هذا العرش الزمردي وأقمت سلطنة سماوية
Cihânın yurdu hep çiğnense, çiğnenmez senin yurdun,	وإن انتُهك العالم فلن ينتهك وطنك
Bugün bir yemyeşil vadi yarın bir kıpkızıl gülşen	أنت الآن في واد أخضر وغدا في حديقة ورد حمراء
Gezersin hanümanın şen için şen kâinatın şen	تتجول مرحا ونفسك سعيدة وعالمك سعيد وبيتك سعيد.
Hazansız bir zemınşayed ruh-i ser-bazın	متى أرادت روحك الشجاعة مكانا لا خريف فيه.
Ufuklar bud–i mutlaklar bütün mahkum-ı pervazın	الآفاق والأماكن البعيدة كلها في طاعتك/ مذللة أمامك

وفي هذه القصيدة يعبر عن مدى حزنه فيقول (أرصوي، 2012، صفحة 456):

Hayır, mâtem senin hakkın değil... Mâtem benim hakkım:	ليس من حقك أن تحزن فالحزن حقي أنا
Asırlar var ki, aydınlık nedir, hiç bilmez âfâkım!	هناك عصور لا تعرف آفاقي ما هو النور

Tesellîden nasîbim yok, hazân ağlar bahârımda;	ليس لي نصيب من الصبر فالخريف يبكي في ربيعي
Bugün bir hânmansız serseriyim öz diyârımda!	أنا اليوم في وطني ضائع مشرَّد

يخاطب عاكف البُلْبُلَ فيقول: لديك وطنك وعشُّك الذي أسسته لنفسك فأنت تجلس في عشك كما يجلس السلطان في سلطنته، ثم يعود فيقول مخاطبا ذلك الطائر: أنا الجدير بالحزن لا أنت، فوطني يتعرض للاحتلال، أما أنت فمحظوظ تعيش في وطنك دون إزعاج. ويتطرق إلى أنه في هذا الأمر ليس لديه من يخفف عنه شيئا من حزنه بسبب الموقف الذي تعيشه بلده.

من ناحية أخرى فمن الطبيعي أن احتلال دولة أجنبية لتراب الوطن يجعل الإنسان بشكل عام والشاعر بشكل خاص يشعر بالعجز والخزي، ولوم النفس، ربما يكون السبب في ذلك أن الشاعر – لا سيما الشاعر الوطني- يكون أكثر معرفة بتاريخ الوطن، وعاكف شاعر وطني ومفكر إسلامي وكان يعيش في دولة الخلافة الإسلامية، ولهذا لا يمكن أن يسلَمَ من شعور الذل والضعف الناتج عن احتلال قطعة من أرض الوطن، فيقول (أرصوي، 2012، صفحة 456):

Ne husrandır ki: Şark'ın ben vefâsız, kansız evlâdı,	ما كل هذه الخيبة وأنا ابن الشرق عديم الوفاء وعديم الدم
Serâpâ Garba çiğnettim de çıktım hâk-i ecdâdı!	تركت الغرب ينتهك حق أجدادي
Hayâlimden geçerken şimdi, fikrim herc ü merc oldu,	بينما تمر هذه الأفكار في خيالي
Salâhaddîn-i Eyyûbî'lerin, Fatih'lerin yurdu.	سقط وطن أبناء الفاتح وصلاح الدين
Ne hicrandır ki: en şevketli bir mâzi serâp olsun;	ما كل هذا الحزن بسبب ذلك الماضي المتوهج الذي أصبح سرابا
O kudretler, o satvetler harâb olsun, türâb olsun!	وهذه القدرة والسطوة التي صارت خرابا وترابا

عاكف الذي كان مصارعا في صدر شبابه، وصاحب الشخصية القوية، والذي لا يُصَفِّقُ للظلم، لا يمكن أن يقف صامتا عندما يتعرض وطنه للاحتلال، لكنه يشعر – أول الأمر- بشيء من الصدمة ، يرافق ذلك شعور بالضعف والعجز؛ حيث يرى أنه لا يستطيع أن يفعل شيئا لبلاده فيتجه إلى محاسبة نفسه. ومثله في ذلك مثل غيره من الشعراء والكُتَّاب يلجأ إلى تاريخه، ويستدعي من ذلك التاريخ الشخصيات العظيمة مثل محمد الفاتح وصلاح الدين الأيوبي، يصاحب ذكر هذه الشخصيات الكبيرة شعورٌ بالحسرة لأن التراب الذي شهد عظمة هؤلاء الأجداد قد فرَّط فيه الأحفاد.

لكننا نرى عاكفا وقت الحرب وقد تخلص من هذه الصدمة ووجَّه شعره إلى الجنود المحاربين في حماسة وقوة فيقول في قصيدته (أغنية الحرب) التي حث فيها الجنود على المشاركة في حرب البلقان (أرصوي، 2012، صفحة 509):

Ey sürüden arkaya kalmış yiğit!	أيها المقدام الذي تخلف عن الركب
Arkadaşın gitti, yetiş, sen de git.	ذهب رفيقك فاذهب والحق به
Bak ne diyor, cedd-i şehîdin, işit:	انتبه واسمع ماذا يقول جدُّك الشهيد
"Durma git evlâdım, uğurlar ola!	لا تتوقف يا بني وفَّق الله سعيك
Durma git evlâdım, açıktır yolun...	لا تتوقف يا بني يسر الله دربك
Cenge sıvansın o bükülmez kolun;	ولتُشمِّر للحرب ذراعك الذي لا يُلْوى
Süngünü tak, ön safa geçmiş bulun,	جهِّز حرْبتك وكن في الصفوف الأمامية
Uğrun açık olsun, uğurlar ola!	وفق الله سعيك وجعل الحظ رفيقك.

هنا يدخل عاكف على خط المعركة، ويدعو الجنود الذين تأخروا عن اللحاق بالمحاربين إلى الإسراع إلى الحرب مذَكِّرا إياهم بأصدقائهم الذين سبقوهم إلى ميدان المعركة ، وداعيا إياهم إلى أن يكون في الصفوف الأمامية، ومتمنيا لهم بالتوفيق في حربهم الشريفة.

وبالنسبة لحافظ فقد رأى بعينيه ما ارتكبه الاحتلال من جرائم، وسجل ذلك في قصيدته التي تكلم فيها عن حادثة دنشواي التي أشعل فيها الجنود الإنجليز النار في تلك القرية فلما ثار عليهم الفلاحون أطلق الجنود النار عليهم وقتلوا عددا منهم، ولم يكتف الاحتلال الإنجليزي بذلك بل عقَد المحاكمات للفلاحين المظلومين وصدرت أحكام بالإعدام ضدهم، سجل حافظ تلك الحادثة في شعره في

قصيدة "حادثة دنشواي" بعد خمسة أيام من صدور أحكام الإعدام (نوفل، 1997، صفحة 38). يقول حافظ في قصيدته هذه (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 335):

لَيْتَ شِعْرِي أَتِلْكَ مَحْكَمَةُ التَّفْـ ... ـتِيشِ عَادَتْ أَمْ عَهْدُ نِيرُونَ عَادَا
كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشَفِّي ... مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا
إِنَّهَا مُثْلَةٌ تَشُفُّ عَنِ الْغَيْـ ... ـظِ وَلَسْنا لِغَيْظِكُمْ أَنْدَادَا

في هذه الأبيات يصور حافظ مدى الظلم الذي تعرض له المصريون تحت الاحتلال ومدى العجز الذي كانوا يعانون منه ويرى أن ما كان يفعله الاحتلال لا سبب له إلا الغيظ والحقد ثم يقر بأن المصريين لا قبل لهم لمواجهة كل هذا الحقد الكامن في نفوس المحتلِّين.

وكرر الإشارة إلى هذه الحادثة في قصيدته التي قالها عند استقبال اللورد كرومر[9]، حيث قال:

فِي دِنْشِوَايَ وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبٌ ... لَعِبَ الْقَضَاءُ بِنَا وَعَزَّ الْمَهْرَبُ
حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الْحَمَامِ بَدِيلَةً ... فَتَسَابَقُوا فِي صَيْدِهِنَّ وَصَوَّبُوا

في حديثه إلى اللورد كرومر أشار حافظ إلى جريمة الجنود الإنجليز في حق الفلاحين حيث كانوا يصيدون الحمام ثم استخدموا البنادق التي يصيدون بها الحمام وصوبوها نحو الفلاحين. ونحن لا نظن أن حافظا كان ينتظر من اللورد كرومر أن يعاقب الجنود الإنجليز، بل هي طريقة ذكية من حافظ لتسجيل الواقعة في تاريخ المصريين.

ولم يكن حافظ يهاجم الاحتلال في مصر فقط، بل كان يهاجمه في كل بلد عربي مثل ليبيا والسودان. فعلى سبيل المثال كان حافظ يتوقع سعي الإنجليز إلى الاستيلاء على مصر كما سبق وأحكموا قبضتهم على السودان، وفي هذا يقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 319):

رويدك حتى يخفق العلَمان ... وتنظر ما يأتي به الحدثان
فما مصر كالسودان لقمة جائع ... ولكنها مرهونة لأوان
دعوني وما أرجفتما باحتماله ... فإني بمكر القوم شق زماني
أرى مصر والسودان والهند واحدا ... بها اللُّرد والفيكنت يستبقان
وأغلب ظني أن يوم جلائهم ... ويوم نشور الخلق مُقترنان

يشير حافظ هنا إلى أطماع المحتلين ومكرهم وأنهم يريدون أن يأخذوا مصر كما أخذوا السودان، لكن استيلاءهم على السودان كان سهلا في حين أن الاستيلاء على مصر ليس بهذه السهولة ولهذا فإنهم يؤجلونه إلى أجل معين (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 319) ويرى كذلك أن جلاء المحتلين عن مصر والسودان والهند مقترنٌ بيوم القيامة، أي أنهم لا يفكرون في الخروج في هذه الدول التي احتلوها.

وفي قصيدة أخرى اسمها (شكوى مصر من الاحتلال) يصور وضع مصر تحت الاحتلال فيقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 339):

لقد كَانَ فِينَا الظُّلم فَوْضى فَهُذِّبَتْ ... حَواشِيهِ حتى باتَ ظلماً مُنَظَّمَا
تَمُنُّ علينا اليومَ أَن أَخْصَب الثَّرَى ... وَأَنْ أَصْبَحَ المصريُّ حُرّاً مُنَعَّمَا
أَعِدْ عَهْدَ إسماعيلَ جَلْداً وَسُخْرَةً ... فَإِني رأيتُ الْمَنَّ أنكى وَأَلَمَا
عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَماد وَذُلِّنَا ... فَأَغْلَيْتُمُ طِيناً وَأَرخَصْتُمُ دَمَا
إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا ... فَلَا أَطْلَعَتْ نَبْتاً وَلَا جَادَهَا السَّمَا
نَهَشْ إِلَى الدِّينَار حَتَّى إِذَا مَشَى ... بِهِ رَبُّهُ لِلسُّوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمَا

9 اللورد كرومر او إيفلن بيرنج، (1841- 1917) شغل وظيفة المعتمد الإنجليزي في مصر وأحد أهم الشخصيات الإدارية في المملكة البريطانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لمزيد من المعلومات عنه ينظر : (بيرنج، 2014،صفحة 19- أوين 2004).

فَلَا تَحْسَبُوا فِي وَفْرَةِ الْمَالِ لَمْ تُفِدْ مَتَاعاً وَلَمْ تَعْصِمْ مِنَ الْفَقْرِ مَغْنَمَا
فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْخَفْضُ وَارِفٌ قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخَيَّمَا

رغم أن حافظا تناول فظاعة الاحتلال الأجنبي وسجل جرائمه التي اقترفها في مصر وغيرها من البلاد العربية في الكثير من قصائده، إلا أنه هنا ركز على جانب مهم من جوانب الحياة المصرية تحت الاحتلال الانجليزي، فالاحتلال يهتم بالزراعة لكن من أجل نفسه لا من أجل المصريين، والمصريون يزرعُون ويتعبون والمحتلّ هو الذي يستفيد من خيرات مصر، فالاحتلال يهتم بخيرات مصر ويُهمل المصريين، وكأنَّ حافظا هنا يشير إلى مسألة التضخُّم الاقتصادي والغلاء الذي ملأ كل مكان لم يترك للمصريين فرصة الاستفادة بما في أيديهم من مال.

الفهم الخاطئ للدين

الدين: الديانة، واسم لجميع ما يتعبد الله به، والملة، والإسلام (ضيف، 2011، صفحة 318). سبق وأشرنا إلى الروح الإسلامية التي يتسم بها كل من حافظ وعاكف، والروح الإسلامية هذه تقتضي أن ينبه الشاعرُ مجتمعَه الذي يعيش فيه إذا رأى أن هذا المجتمع يفهم بعض نقاط الدين بشكل غير صحيح. ويمكن أن نقول إن الشاعرين الكبيرين لم يهملا هذه النقطة أيضًا. فبالنسبة لعاكف نراه في قصيدته المسمَّاة (التوكل بعد العزم) يتجه إلى الفهم المغلوط لمفهوم التوكل، حيث يرى أن المجتمع يفهم التوكل بمعني الكسل وترك العمل فيشير إلى ذلك في هذه القصيدة فيقول (أرصوي، 2012، صفحة 450):

فإذا عزمت فتوكل على الله	“Bir kerre de azmettin mi, artık Allah’a dayan...”
أهو الاعتماد على الله؟ فقد اعتمدنا على الله قرونا	“Allâh’a dayanmak mı? Asırlarca dayandık!
وإن سقطنا في الخيبة واحترقنا بنار عشقه	Düştükse bu hüsrâna, onun nârına yandık!

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى شيئين وهما:

1- صدّر عاكف القصيدة بقوله تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله).

2- بدأ بالقصيدة بذكر اسم الله.

ربما يكون ذلك إشارة من عاكف إلى أن الفهم المغلوط لمفهوم التوكل لا يوافق القرآن الكريم ولا مراد الله من الإنسان. أو أنه وهو ينتقد هذا التصرف الموجود في زمنه يدافع عن رأيه مُحتمِيا بالآيات القرآنية.

ثم نرى عاكفا مستنكرا هذا التكاسُل الذي يسميه بعض الناس توكلا، فيقول (أرصوي، 2012، صفحة 451):

لا تغادرْ فراشك لأنك توكلت على الله...	“Allah’a dayandım!” diye sen çıkma yataktan...
أهذا معنى التوكل أيها الجاهل!	Ma’nâ-yı tevekkül bu mudur? Hey gidi nâdan!
لا تظن أن أجدادك قضوا قرونا نائمين	Ecdâdını, zannetme, asırlarca uyurdu;
وإلا كيف كنت ستجد الوطن الذي بين يديك؟	Nerden bulacaktın o zaman eldeki yurdu?
آثار جراحهم الدامية شاهدة في ثلاث قارات	Üç kıt’ada, yer yer, kanayan izleri şâhid:
هذا الجيل المجاهد العظيم لم يسترح يوما	Dinlenmedi bir gün o büyük nesl-i mücâhid.
لو كان معنى التوكل هو الكسل والخمول	Âlemde “tevekkül” demek olsaydı “atâlet”,
أكانت هذه الأمة تعيش بميراث الإسلام؟	Mîrâs-ı diyânetle yaşar mıydı bu millet?
لو كان كذلك لانطفأ مشعل التوحيد منذ وقت طويل	Çoktan kürenin meş’al-i tevhîdi sönerdi;
ولما بقي القرآن ولعاد إلى ربه	Kur’an duramaz, nezd-i İlâhî’ye dönerdi.
"الدنيا تجري" أهذا قول فحسب؟ عليك أن تجري معها	“Dünyâ koşuyor” söz mü? Berâber koşacaktın;
هيهات تركت خلفك العزم كله	Heyhât, bütün azmi sen arkanda bıraktın!

مرة أخرى نري عاكفا يربط كل شيء بالوطن، فهو ينطلق من نقطة الفهم الخطأ لمفهوم التوكُّل ليربط ذلك بتاريخ الوطن، مذكِّرا بأن الأجداد لم يؤسسوا الأوطان ويحموها بالنوم والكسل بل بالجهد والعمل. وهو بهذا الشكل يلقي اللوم على هؤلاء المتواكلين ويحملهم مسؤولية الوطن ومسؤولية الدين في آن واحد.

أما بالنسبة لحافظ إبراهيم، فهو يرى أنَّ المجتمع يعاني من الفهم المغلوط لبعض موضوعات الدين لكنه يختلف عن عاكف في أنه يُعوّل على علماء الدين الذين عليهم أن يُصحِّحوا للناس مفاهيمهم المغلوطة حول الدين، ومن الطبيعي أن أهم علماء الدين عند حافظ هو أستاذه الشيخ محمد عبده. والدليل على ذلك ما قاله حافظ في رثائه للشيخ محمد عبده (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 458):

تباركت هذا الدين دين محمد — أيُتْرَكُ في الدنيا بغير حُماة
تباركت هذا عالم الدين قد مضى — ولانت قناة الدين للغَمَزات

وفي هذه القصيدة يقول مخاطبا الشيخ محمد عبده أيضا (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 459) :

أبَنْتَ لنا التنزيل نورا وحكمة — وفرقْتَ بين النور والظلمات
ووفَّقْتَ بين الدين والعلم والحجا — فأطلعت نورا من ثلاث جهات

هذه الأبيات من هذه القصيدة الرائعة ترشدنا إلى إجلاله لدور علماء الدين بشكل عام والأستاذ محمد عبده بشكل خاص في تصحيح الفهم الخاطئ الذي يحصل عند بعض المسلمين لبعض مفاهيم الدين.

وكان من أكثر المفاهيم الخاطئة والمنتشرة في المجتمع مسألة "قبور الأولياء" التي كان عدد كبير من المصريين يقدمون لها القرابين ويرمون في صناديقها النقود. وقد سجل حافظ هذه المسألة مخاطبا الشيخ محمد عبده في قصيدة أخرى (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 22):

إمام الهدى إني أرى القوم أبدعوا — لهم بدعا عنها الشريعة تعزِف
رأوا في قبور الميتين حياتهم — فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا
وباتوا عليها جاثمين كأنهم — على صنم للجاهلية عكَّفُ

من خلال هذه الأبيات نرى أن حافظا كان يرى ما يحدث عند هذه القبور بدعة لا علاقة لها بالدين ولا بالشريعة، ويرى أن الناس قد أهملوا حياتهم واهتموا بحياة الأموات، وهذا – في رأي حافظ- يجعل حالهم شبيها بحال الناس في الجاهلية حيث كان الناس يذبحون القرابين للأصنام ويطوفون حولها ويتقدون قدرتها على النفع والضرر.

وربما كان تسجيله هذه النقطة في شعره له صلة بحياة حافظ نفسه وبمشاكلها الشخصية؛ فقد عاش حافظ فقيرا في فترات طويلة من حياته، وكان يرى إسراف الناس فيما يقدمون لهذه القبور من أموال بينما هو لا يجد من النقود قليلا ولا كثيرا، فيقول في ذلك (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 318):

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهم — وبألْفِ ألْفٍ يرزق الأمواتُ
من لي بحظِّ النائمين بغرفة — قامت على أحجارها الصلواتُ

تبدو الشكوى واضحة في هذين البيتين، كما يبدو الألم الذي كان يشعر به، وتمنيه أن يحصل على شيء من هذا المال الذي يحظي به النائمون في هذه الضرائح.

العلم

العلم: إدراك الشيء بحقيقته، واليقين، ونور يقذفه الله في قلب من يحب، والمعرفة. (ضيف، 2011، صفحة 646).ربما كان الشعراء والمفكرون أكثر الناس احتراما للعلم ودعوة إليه، وعاكف ليس شاعرا فحسب بل هو شاعر ومفكر وعالم، وتعلم في طفولته أربع لغات وهو ما يزال في المدرسة الابتدائية، وقرأ للأدباء والشعراء الكبار بالعربية والفارسية والفرنسية، فمن الطبيعي أن يأخذ العلم

والتعليم حيّزا مهما في شعره، لكننا نلاحظ أن عاكفا يربط العلم بهوية الأمة ومستقبلها، فهو يقول في إحدى قصائده **(أرصوي، 2012، صفحة 266)**:

Mahalle mektebidir işte en birinci adım;	مدرسة الحي هي الخطوة الأولى
Fakat; bu hatveyi ilkin tasarlamak lâzım.	لكن هذه الخطوة يجب تصميمها أولا
Muallim ordusu derken, çekirge orduları	جيش المعلمين ليس كجيوش الجراد
Çıkarsa ortaya, artık hesâb edin zararı!	يكفي أن يظهر لتحسبوا قدر الضرر
"Muallimim " diyen olmak gerektir îmanlı;	من يقول أنا معلم عليه أن يتحلى بالإيمان
Edebli, sonra liyâkatli, sonra vicdanlı.	والأدب ثم الأهلية والوجدان

في هذه الأبيات تختلط شخصية عاكف المفكر بشخصية عاكف الشاعر فتنتج لنا هذه الرؤية الواضحة التي يراها عاكف الخطوة الأولى للنهوض بعقول أبناء الأمة، وإذا دققنا النظر في هذه الرؤية التي طرحها عاكف نجد أنَّها رؤية مبنية على أفكار محددة مناسبة لهوية الأمة الإسلامية بشكل عام والأمة التركية بشكل خاص. وأهم ما يميز هذه الرؤية:

1- النقطة الأولى: الاهتمام بالنشء لأنهم طلاب اليوم ومعلمو الغد، وبسواعدهم تبني الأمم وبضعفهم تنهار.

2- النقطة الثانية: تعميم العلم، فإن (مدرسة الحيّ) الذي يتكلم عنها عاكف يجب أن تكون في كل حي لتهتم بتعليم أبناء ذلك الحي، وهكذا يكون الاهتمام بالأجيال الجديدة في كل مكان في أرجاء الوطن، فلا يكون خاصا بمكان دون مكان، ولا بطبقة معينة من الناس دون الطبقات الأخرى.

3- النقطة الثالثة: صفات المعلم، يدرك عاكف جيدا أهمية المعلم الذي سيتولى مسؤولية تعليم الناشئة، وهو لا يرى أن دور المعلم يقتصر على تعليم الطلاب معلومات مجردة في فروع العلم المختلفة، بل يدرك جيدا دور المعلم في تربية الطلاب والأثر الذي يتركه في نفوسهم سلبًا أو إيجابًا، ولهذا فعاكف يقرر بوضوح أن التعليم مهنة نبيلة وليس كل شخص يصلح لأن يؤدي هذه المهنة، فالمعلم الذي يؤسس أكثر من جيل من أجيال الوطن لا بد أن يكو مؤهلا لأداء هذه المهنة كما أنه لا بد أن يكون صاحب إيمان وأدب ووجدان. ورغم أننا نرى أن أكثر الشعراء المصريين شبها بعاكف هو حافظ إبراهيم إلا أن عاكفا في اهتمامه بدور المعلم يقترب أكثر من فكر أمير الشعراء المصرين والعرب (أحمد شوقي) الذي يقول في في مطلع إحدى قصائده متحدثا عن نفس الفكرة (شوقي، 2012، صفحة 245):

قم للمعلم وفِّه التَّبجيلا	كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أشرفَ أو أجلَّ من الذي	يبني ويُنشئ أنفُسا وعُقولا

حيث ركز فيها شوقي على أهمية دور المعلم في بناء الأجيال وأثره في نفوس وضرورة تحليه بالأخلاق والعلم معا.

وبالنسبة لحافظ إبراهيم فهو أيضًا يهتم بالعلم اهتماما كبيرا، وفي ديوانه الكثير من القصائد التي قالها في افتتاح المدارس سواء للذكور أو للإناث، ولحافظ في العلم أبيات مشهورة متداولة بين أهل الأدب وهي التي يقول فيها (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 280):

والعلم إن لم تكتَنِفْه شمائل	تحميه كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده	ما لم يتوج ربه بخلاق
كم عالمٍ مَدَّ العلوم حبائلا	لوقيعة وقطيعة وفراق

كما سبق وأشار عاكف إلى العلاقة بين العلم والأخلاق والإيمان نرى حافظا أيضًا يؤكد على هذه النقطة، فهو يربط العلم بالأخلاق ويرى أن العلم بلا أخلاق لا قيمة له ولا فائدة فيه لأن الأخلاق هي التي توجه الإنسان إلى استخدام العلم فيما فيه مصلحة الناس، ثم أشار حافظ إلى أن الكثير من العلماء قد جعلوا علمهم وسيلة إلى أغراض تضر الناس ولا تفيدهم وتفرقهم ولا تجمعهم.

وربما يفهم من كلام حافظ أن العلم الذي أشار إليه ودعا إلى استخدامه بشكل صحيح وموافق للأخلاق القويمة وحذر من عكس ذلك هو العلم الدنيوي الذي يتعلق بالطب والصناعة والتجارة والتقنية، والحقيقة أن حافظا كما قصد ذلك العلم الدنيوي قصد أيضًا العلم الديني والشرعي، فالفقيه الذي يطوع فقهه للأهواء والأغراض الدنيوية لا فرق بينه وبين الطبيب الذي يستخدم علمه وطبَّه لخدمة مصالح الشخصية على حساب المرضى (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 280، 281).

وحافظ يدرك قيمة العلم وأن العلم هو الذي يرفع الأمم ويمنحها القوة فيقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 375):

فتعلَّموا فالعلم مفتاح العلا	لم يُبق بابا للسعادة مُغلقا
ثم استمِدُّوا منه كل قواكم	إن القوي بكل أرض يُثَّقَي

يدعو حافظ إلى العلم لأنه مفتاح السعادة التي تنشدها الأمم كما يدعو الشباب إلى أن يكون العلم مصدر قوَّتهم، ثم يلفِت الأنظار إلى أنَّ من يمتلك اللم يملك القوة ومن يمتلك القوة يحظى بالهيبة والاحترام في كل مكان.

اليأس والأمل

في المعجم الوسيط: منه ييأس ويِيئس يأسا: انقطع منه أملا (ضيف، 2011، صفحة 1108). والأمل:الرجاء والترقب (ضيف، 2011، صفحة 26). من واجب الشعراء الكبار الذين يحملون هم الوطن أن يبعثوا الأمل في نفوس الشعوب وأن يطردوا اليأس من قلوبهم. ومن المعروف أن الفترة التي عاشها الشاعران كانت مليئة بالإخفاقات والنكبات التي حلت بالعالم الإسلامي. ففي تركيا أسقطت الخلافة العثمانية التي كانت تجمع كل البلاد الإسلامية تحت راية واحدة، بل تعرض أراضي الدولة التركية نفسها للغزو كما أشرنا سابقا وبالنسبة لحافظ إبراهيم فقد كان الوضع في مصر أشد سوءا ومن شأن هذه الإخفاقات أن تصيب الكثير من أبناء الشعب باليأس وها يأتي دور الشعراء والمفكرين في إحياء الأمل في النفوس. وعاكف أدرك هذه النقطة فخصَّ موضوع الأمل بقصيدة خاصة اسمها "لا لليأس " وقد صدرها بالآية الكريمة (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)[10]

يبدأ عاكف قصيدته بمخاطبة ذلك الإنسان الذي خبت شعلة الأمل في روحه فيقول (أرصوي، 2012، صفحة 448):

لكنك ليس لديك نفحة من الأمل	Lâkin, hani bir nefhası yok sende ümîdin!
أقلت إنه مات؟ آه ، أكان عليك أن تقتله؟	"Ölmüş" mü dedin? Âh onu öldürmeli miydin?
فجر الحق الأزلي لا يغرق أيها الظالم	Hakkın ezelî fecri boğulmazdı, a zâlim,
سوف ترى بعدُ كم أن المستقبل مظلم	Ferdâların artık göreceksin ki ne muzlim!
إن قلت يمكنني أن أمشي دونه فثق أنه لا يمكن	Onsuz yürürüm dersen, emîn ol ki yürünmez;
وأن تلفتَّ سنوات فلن تظهر أمامك لمعة نور	Yıllarca bakınsan, bir ufak lem'a görünmez.

يدعو عاكف إلى الخروج من نفق اليأس المظلم، كما يرى أن اليأس لا يضئ طريقا ولا يوصل إلى غاية، ونلاحظ أيضا أن عاكفا كما فعل في تناوله لمسألة التوكل وصاغها في قالب إسلامي فعل نفس الشيء في حديثه عن اليأس والأمل فصدَّر القصيدة بآية قرآنية وربَط الأمل بالاعتماد على الله (أرصوي، 2012، صفحة 449):

ابدأ بإسكات أحزان الماضي	Mâzîdeki hicranları susturmaya başla;
لقّح أولادك بلقاح الأمل	Evlâdına sağlam bir emel mâyesi aşıla,
توكل على الله واطلب الحكمة والزم العمل	Allah'a dayan, sa'ye sarıl, hikmete râm ol...
إن كان هناك طريق فهذا هو، لا أعرف له من بدل	Yol varsa budur, bilmiyorum başka çıkar yol.

عاكف لا يدعو الإنسان إلى الأمل فحسب ، بل يدعوه إلى أن يكون طاقة أمل لمحيطه القريب منه، وذلك يبدأ في نظره بترك الماضي والاعتماد على الله ومحاولة إيجاد واقع أفضل ويرى أن الإنسان لا بد أن يكون طالبا للحكمة، ولا يرى طريقا صحيحا للحياة غير هذا الطريق.

10 سورة الحجر، 56.

أما حافظ إبراهيم فهو أيضًا يدعو إلى الأمل ويحاول بثَّه في نُفوس المُجتمع إذ يقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 417:

قُمْ يَا ابْنَ مِصْرَ فَأَنْتَ حُرٌّ وَاسْتَعِدْ ... مَجْدَ الْجُدُودِ وَلَا تَعُدْ لِمَرَاحِ

شَمِّرْ وَكَافِحْ فِي الْحَيَاةِ فَهَذِهِ ... دُنْيَاكَ دَارُ تَنَاحُرٍ وَكِفَاحِ

وَانْهَلْ مَعَ النُّهَّالِ مِنْ عَذْبِ الْحَيَا ... فَإِذَا رَقَا فَامْتَحْ مَعَ الْمُتَّاحِ

وَإِذَا أَلَحَّ عَلَيْكَ خَطْبٌ لَا تَهُنْ ... وَاضْرِبْ عَلَى الْإِلْحَاحِ بِالْإِلْحَاحِ

وَخُضِ الْحَيَاةَ وَإِنْ تَلَاطَمَ مَوْجُهَا ... خَوْضُ الْبِحَارِ رِيَاضَةُ السَّبَّاحِ

وَاجْعَلْ عِيَانَكَ قَبْلَ خَطْوِكَ رَائِداً ... لَا تَحْسَبَنَّ الْغَمْرَ كَالضَّحْضَاحِ

وَإِذَا اجْتَوَتْكَ مَحَلَّةٌ وَتَنَكَّرَتْ ... لَكَ فَاعْدُهَا وَانْزَحْ مَعَ النُّزَّاحِ

فِي الْبَحْرِ لَا تَثْنِيكَ نَارُ بَوَارِجٍ ... فِي الْبَرِّ لَا يَلْوِيكَ غَابُ رِمَاحِ

وَانْظُرْ إِلَى الْغَرْبِيِّ كَيْفَ سَمَتْ بِهِ ... بَيْنَ الشُّعُوبِ طَبِيعَةُ الْكَدَّاحِ

وَاللَّهِ مَا بَلَغَتْ بَنُو الْغَرْبِ الْمُنَى ... إِلَّا بِنِيَّاتٍ هُنَاكَ صِحَاحِ

رَكِبُوا الْبِحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَاؤُهَا ... وَالْجَوَّ بَيْنَ تَنَاوُحِ الْأَرْوَاحِ

وَالْبَرُّ مَصْهُورَ الْحَصَى مُتَأَجِّجاً ... يَرْمِي بِنَزَّاعِ الشَّوَى لَوَّاحِ

يَلْقَى فَتِيُّهُمُ الزَّمَانَ بِـهِمَّةٍ ... عَجَبٍ وَوَجْهٍ فِي الْخُطُوبِ وَقَّاحِ

وَيَشُقُّ أَجْوَازَ الْقِفَارِ مُغَامِراً ... وَعْرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّحْصَاحِ

وَابن الْكِنَانَةِ فِي الْكِنَانَةِ رَاكِدٌ ... يَرْنُو بِعَيْنٍ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاحِ

لا يَسْتَغِلُّ كَمَا عَلِمْتَ ذَكَاءَهُ ... وَذَكَاؤُهُ كَالْخَاطِفِ اللَّمَّاحِ

أَمْسَى كَمَاءِ النَّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ ... فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أُجَاجِهِ الْمُنْدَاحِ

من خلال الأبيات نرى أن حافظا غير راض عن حال المصريين ولهذا فهو يحاول أن يبعث روح الأمل في المصري ، وأثناء محاولته هذه يحاول أن يذكرهم بتاريخ بلادهم ويطالبهم باستعادة مجد الجدود، ويدعوهم إلى الكفاح والقوة والصبر ومحاولة الوصول إلى هدفه مهما قابله من صعوبات ولو استلزم ذلك خروجه من المكان الذي يعيش فيه. نلاحظ أن حافظا في محاولته لبعث الأمل في النفوس لا يخجل من ضرب المثل بالغربي الذي استطاع أن يسخر البحر والجو بهمته العالية ودأبه المستمر.

وكما أعطى حافظ نموذجا للغربي الناجح نراه يعطي مثالا أيضا من الشرق حيث يتكلم عن اليابان فيقول (حافظ إبراهيم، 1987، صفحة 569):

وانظروا اليابان في الشرق وقد ... ركزت أعلامها فوق القمم

حاربوا الجهل وكانوا مثلنا — في دجى عميائه حتى انهزم
فاسألوا عنها الثريا لا الثرى — إنها تحتل أبراج الهمم
همم يمشي بها العلم إلى — أنبل الغايات لا يدري السأم

نرى أن الشاعر في هذه الأبيات يقول : إذا كنتم ترون أن اللحاق بالغرب صعب وأنهم أمة مختلفة عنا في العادات والثقافة ونمط الحياة فانظروا إلى شعب اليابان وهم من شعوب الشرق مثلنا فهم أقرب إلينا من الغرب، وقد كانوا يعانون مما نعانيه من الجهل ولكنهم حاربوا الجهل حتى انتصروا عليه، وكل ذلك بسبب الهمة العالية لهذا الشعب التي رفعته إلى القمة.

الخاتمة

هذه الدراسة تتناول شاعرين كبيرين بزغ نجمُها في القرن العشرين، وأصبح لكل منهما مكانة مرموقة في وطنه، وهما يشتركان في أكثر من صفة، فلدَى الشاعرين قسم مشترك في الجانب الثقافي فكلاهما يعرف العربية والفرنسية وكلاهما قرأ المتنبي وفكتور هوجو، وتأثر بالشيخ محمد عبده. ولكن كفة عاكف في جانب معرفة اللغات الأجنبية أرجح من كفة حافظ حيث كان يتقن اللغة الفارسية . ويشتركان أيضا في أنهما عملا في وظائف الدولة.

وكل منهما أيضا كان على درجة كبيرة من الإلمام بتاريخه وتراثه الديني والثقافي، ولهذا نجد الشخصيات الدينية والتاريخية المهمة حاضرة في شعر كل منهما. كما أنهما لم يدرسا الأدب دراسة متخصصة نتيجة للظروف التي عاشاها ولكنهما طورا اهتمامهما بالشعر في مراحلَ متقدمة من حياتيهما.

كما أن الوسط الثقافي الذي تأثر به كل منهما متشابه أيضا. والأشعار التي كتبها كل منهما لم تكن متعلقة بمسائل تهم قسما معينا من أبناء الشعب، بل بمسائل تهم عموم الشعب. فقد كان كل منهما قريبا من مشاكل شعبه وأمته. ومن السمات المشتركة في إنتاجهما الأدبي أن أشعارهما تهتم بالدين والوطن وتجعل لهما موضع الصدارة في كتاباتهما، كما يظهر بوضوح الإحساس بمشاكل الوطن والمجتمع .

كانت الفترة التي عاش فيها الشاعران فترة صعبة للغاية لتركيا ومصر والعالم الإسلامي بشكل عام من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية ، وفي هذا السياق قام الشاعران بما يجب عليهما القيام به ففي الجانب الوطني نلحظ في أشعارهما حب الوطن من الدعوة إلى وحدة الوطن الجغرافية والدعوة إلى اتحاد دول العالم الإسلامي بشكل عام، والدعوة إلى الوحدة والاتحاد دائمًا ما تقترن بالتنفير من الفرقة بيان أضرارها كما يظهر بوضوح مقاومة الاحتلال . ورغم اتفاقهما في حب الوطن إلا أنه يكثر في شعر عاكف تشبيه الوطن بالجنة بينما يتكرر في شعر حافظ مخاطبة الوطن خطاب المعشوق.

وفي الجانب الديني: نرى الروح الإسلامية واضحة في أشعارهما وآية ذلك نقرأ في أشعارهما أسماء الشخصيات الإسلامية الهامة مثل عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي، كما أنهما لا يكتفيان بسرد التاريخ الإسلامي، بل يعكسان ذلك على الواقع فيلاحظان مدى فهم المجتمع لمفاهيم الدين والتزامه بأوامره ويحاولان تصحيح المفاهيم الدينية المغلوطة التي رصدها كل منهما في بيئته ومجتمعه.

في الجانب الاجتماعي نجد أن كلا منهما يرى مشاكل المجتمع وينبه عليها ويحاول أن يضع لها الحلول المناسبة. اهتم كل منهما بالعلم والتعليم إلى جانب التربية والأخلاق وعرف كل منهما أهمية المدارس والجامعات التي تشكل وعي الشباب وتبني فكره. كما أنهما أدركا أهمية الأمل في حياة الفرد والمجتمع وأدركا كذلك أن الأمة لا تتقدم إلا بالأمل وأن اليأس عدو النجاح فبذلا وسعهما في بث روح الأمل في نفوس الشعب ومحاولة التخلص من مشاعر اليأس التي يبدو أنها كانت شائعة بسبب الحالة المزرية التي كانت عليها البلاد الإسلامية في ذلك الوقت.

Kaynakça

Alhusami, Mohammed A. A. Hizabr (2016). Arabic and English Literary Modernisms: Points of Convergence and Divergence, International Journal of Language and Literature S.1, s. 150-159.

Aydın, Hasan (2012). Mehmet Akif Ersoy'un Uygarlık İmgesi: Doğu'nun ve Batı'nın Eleştirisinden Medeniyet-i Fâzıla'ya, Kelâm Araştırmaları Dergisi, S.10/1, s. 45-80.

Bil'abbâs, Abdurrezzak (2014). el-İltişâdu'l-İslâmi: Ḥafriyye Muṣṭalaḥ, Mecelletu'l-İslâmiyeti'l-Ma'rufa, S. 78, s. 105-133.

Bilgegil, M. Kaya (1971). Mehmed Âkif Resmi Hâl Tercümesi, Basılmamış Bazı Mektup ve Manzumeleri, Erzurum: Atatürk Üniversitesi.

Brinc, Kromar (2014). Mısru'l-Hadîse, (çev. Sabri Muhammed Hasan), Kahire: el-Merkezu'l-Kavmî li't-Terceme

Çantay, Hasan Basri (1966). Akifnâme (Mehmed Âkif), İstanbul: Ahmet Sait Matbaası.

Dâğır, Yûsuf Es'ed (1983). Maṣâdiru'd-Dirâsâti'l-Edebiyye, Beyrut: el-Mektebetu'ş-Şarḳiyye.

Dayf, Şevḳî (tsz.). el-Edebu'l-'Arabiyyi'l-Mu'âṣir fî Mısr, Mısır: Dâru'l-Ma'arif.

Dayf, Şevkî ve Diğerleri (2011). Mu'cemu'l-Vasît, Kahire: Mektebetu'ş- Şuruk ed-Devliyye.

Düzdağ, M. Ertuğrul (1997). Mehmed Akif Ersoy, Ankara: T.C Kültür Bakanlığı.

el-Cabirî, Muhammed Salih (2004). Mevsû'atu A'lâmi"l-'Ulemâ-i ve'l-Udebâi'l-'Arab ve'l-Muslimîn, Beyrut: Dâru'l-Cîl.

el-Fâḫûrî, Ḫannâ (1986). el-Câmi' fî Târîḫi'l-Edebi'l-'Arabi'l-Ḥadîs, Beyrut: Dâru'l-Cîl.

Ellada, Gerayzade (2013). Hüseyin Cavid ve Mehmet Akif Ersoy'un Eserlerinde Vatanseverlik Motifleri, Türk Dünyası Bilgeler Zirvesi: Gönül Sultanları Buluşması, Eskişehir, s. 533-537.

Ersoy, Mehmet Âkif (2012). Safahat, Konya: Eğitim.

İbrahim, Hafız (1987). Dîvân-u Hâfız, (thk. Ahmed Emîn ve İbrahîm el-İbyârî), Kahire: el-Hey'etu'l-Âmme li'l-Kuttâb.

İbrahim, Muhammed Ḥâfız̧ (2012). Leyâlî Saṭîḥ, Kahire: Muessetu Hindâvî li't-Ta'lîm ve's-Saḳâfe.

İbrahim, Muhammed Ḥâfız̧ (2014). el-Buesâ, Kahire: Matba'atu'l-'Ubûri'l-Ḥadîse.

Kur'ân-ı Kerîm, Hicr Suresi, 56.

Kurtoğlu, Mehmet (2016). Taceddin Dergâhı'nda İstiklâl Şairi Mehmet Âkif, Ankara: Vakıflar Genel Müdürlüğü.

Nevfel, Yusuf (1987). Hâfız İbrahim Şâiru'ş-Şa'b ve Şâiru'n-Nîl, Kahire: el-Hey'etu'l-Âmme li'l-Kuttâb.

Ovin, Ruger (2004). el-Lord Kromar el-Embriyâli ve'l-Hâkim el-İstibdâdî, (çev. Raûf Abbas), İngiltere: Oksford Üniversitesi.

Savran, Ahmet (1991). 19.yy. Osmanlı Döneminde Yeni Arap Edebiyatı, Erzurum: A.Ü. Fen-Edebiyat Fakültesi.

Şevkî, Ahmed (2012). eş-Şevkiyyât, Kahire: Müesseset-u Hindâvî li't-Ta'lîm ve's-Sekâfe.

Tuzcu, Kemal (2002). Mısırlı Neo-Klâsik Şairler, Nüsha, S.5, s. 107-129.

Yıldız, Ahmet (2017). Nil Şairi Hafız İbrahim ve Siyasi Şiirleri, Konya: Şelâle Ofset.

Yılmaz Daşcıoğlu ve Amira Husseiny (2019). Mehmet Âkif Ersoy Hakkındaki Arapça Bibliyografya Üzerine Bir Araştırma, Sosyal ve Kültürel Araştırmalar Dergisi, s. 21-33.

Yürek, Hasan (2013). Mehmet Âkif Ersoy'un Safahat Adlı Eserinde Geri Kalmışlığın Sebepleri ve Çözüm Önerileri, Türk Kültürü Araştırmaları Dergisi, s. 69-80.